دلالات المتشابه القرآني ـ قصة نبي الله موسى عليه السلام في سورتي النمل والقصص أنموذجا ـ

أ .محمد عمار محمد إمحمد *
قسم الدراسات الإسلامية ـ كلية التربية ـ قصر بن غشير، جامعة طرابلس .
وطالب بمرحلة الدكتوراه ـ جامعة الزاوية .
mhmdbnnsr171@gmail.com
تاريخ الارسال 2025/8/6م تاريخ القبول 2025/9/9م

The Importance of Similarities in the Holy Quran: The Story of Prophet Moses (peace be upon him) in Surahs An-Naml and Al-Qasas as a Model

* **By: Muhammad Ammar** Muhammad Muhammad

Department of Islamic Studies, Faculty of Education, Qasr Bin Ghashir, University of Tripoli
PhD Candidate, University of Zawiya
mhmdbnnsr171@gmail.com

One of the signs of the miraculous nature of the Qur'an is the similarity of the stories and their repetition in more than one place. Through this repetition or similarity, it deals with an event different from what it deals with in the other. The method of Qur'anic expression is that it frequently uses the rhetorical expression of the main matter of Islam, and mentions it in a different way in many places in the Holy Qur'an. The presentation of the style of the story and the presentation of the dialogue between the characters in a regular narrative method has been agreed upon by scholars to magnify its importance. The system is the basis of thought, contemplation and craftsmanship, and the similarity or repetition is the presentation of something time after time, and the analysis and appreciation of the text is the way to uncover much of this similarity and what it contains of the subtleties of Qur'anic stories.

الملخـــص :

إن من دلائل الإعجاز القرآني هو تشابه القصص وتكرارها في أكثر من موضع، وهي بذلك التكرار أو التشابه تعالج حدثا غير ما تعالجه في الآخر، فمنهج البيان القرآني أنه يكثر من التصريف البياني للشيء الرئيس من أمر

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

الإسلام، ويذكره مصرفاً في مواطن عديدة من القرآن الكريم ، فإيراد أسلوب القصة وعرض الحوار بين الشخصيات في منهج سردي منتظم قد أطبق العلماء على تعظيم شأنه ، فالنظم هو مناط الفكر والتأمل والصنعة ، والتشابه أو التكرار عبارة عن الإتيان بشيء مرةً بعد أخرى، والتحليل والتذوق للنص هو السبيل المطرق إلى كشف كثير من هذا المتشابه وما فيه من لطائف القصص القرآني .

المقدمـــــــــــة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين وبعد:

فإن الله- تعالى - يقول: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ**﴾[1] ، لقد بين الله في كتابه العزيز في أكثر من موضع أن هذا الكتاب جاء بلسان عربي مبين، وأنه بيان للحق، فكان لزاما بعد ذلك ألا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي دراستنا هذه سنعمل على كشف هذا البيان والغوص في أعماق دلالاته وإعجازه، خاصة ونحن في زمن قد ظهر لنا من يطعن في بلاغة القرآن و بيانه وإعجازه في جملة من الشبه منها مثلا _أن القرآن يحوي تكرارا وحشوا وزيادة ويضرب لذلك مثالا كقصة موسى عليه السلام فيقول أنها قد ذكرت في أكثر من موضع من القرآن وهذا من التكرار والحشو الزائد_ .

وفي هذا رأينا أن نجعل درستنا ترتكز على أسرار المتشابه حتى نفند طعن أهل الأهواء والضلال، وأنه لا يوجد مكرر في القرآن[2] ، وأنه كله من قبيل المتشابه، ثم أن هذا المتشابه قد تعدد ذكره في أكثر من موضع، إلا أنه في كل موضع يعالج موضوعا معينا، غير ما يعالجه في موضع آخر، ولذلك ستلحظ تغير الأسلوب واللفظ تبعا لذلك، مما يؤكد عدم وجود الحشو والزيادة، هذا من وجه ومن وجه آخر فإن اللغة العربية تجيز استعمال المتشابه في الموضع الذي يستحسن فيه ذلك وسنمر على هذا في حينه ، فالتشابه القصصي في القرآن هو إيراد القصة القرآنية الواحدة في أكثر من موضع وفي أكثر من سورة مع اختلاف استعمال الألفاظ والأحداث من موضع إلى آخر .

إشكالية الدراسة :

وهي كما مر معنا في البيان ، ويمكن إبراز الفوائد البلاغية من وجود المتشابه

القصصي في القرآن، ومدى توظيفها في تفسير الآيات واستنباط الأحكام الفقهية منها، وهل وقع السماع من العرب لاستخدامهم المتشابه؟، على أنه نوع من أنواع الفصاحة والبيان؟، حتى يكون من جنس المتحدي به؟، كما يقول الباقلاني وغيره أم لا ؟.

أهمية الدراسة :

تكمن أهميتها في معرفة ما تقدم، وفك الإشكال الحاصل من المتشابه القصصي في القرآن، فإن حصل لنا ذلك فمنة من الله وحده ، ذلك حتى يحصل الرد على المستشرقين وطعنهم في كتاب الله العزيز، بالحجة الواضحة والبينة الكاشفة .

حدود الدراسة :

تحليل دلالات القصة القرآنية في كل موضع عن حدة ، ثم مقابلتها بالموضع الآخر، حتى يظهر أوجه الخلاف، وتنوع الأهداف والمواضيع والقضايا .

خطة البحث :

المبحث الأول : التعريف بالقصة القرآنية وأثرها في الخطاب التشريعي ، ويحوي ثلاثة مطالب ، والمبحث الثاني : تحليل النص القرآني في كل من سورتي النمل والقصص، وبيان وجه التقابل بينهما من حيث قصة نبي الله موسى عليه السلام . خاتمة البحث ونتائجه ، قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث في دراسته

المبحث الأول ـ في بيان ماهية القصة القرآنية وأثرها في الخطاب التشريعي :

المطلب الأول ـ في بيان دلالة القصة في القرآن وأثرها في الخطاب التشريعي

الفرع الأول في بيان دلالة القصة.

بداية يمكننا القول بأن **القصة لغة** ((من مادة : [قصص] ، وقَصَّ أثرَه، أي تتبَّعه. وكذلك اقْتَصَّ أثرَه، وتَقَصَّصَ أثرَه. والقِصَّةُ: الأمرُ والحديث. وقد اقْتَصَصْتُ الحديث: رويته على وجهه. والاسمُ أيضاً القَصَصُ بالفتح. والقِصَصُ، بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب))[3]، وَالْقِصَّةُ (الشَّأْنُ وَالْأَمْرُ يُقَالُ مَا قِصَّتُكَ أَيْ مَا شَأْنُكَ وَالْقُصَّةُ بِالضَّمِّ الطُّرَّةُ وَهِيَ النَّاصِيَةُ وَالْقَصَّةُ بِالْفَتْحِ الْجِصُّ بِلُغَةِ الْحِجَاز)[4]، والقصص مصدر، قال تعالى: ﴿ارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾[5]، أي : رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به.

وقصص القـــرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة ـ وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه[6]، والقصص:

هو الأخبار المتتابعة. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**﴾[7] وقال تعالى:﴿ **لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ**﴾[8] ، كما حكى القرآن الكريم عن الجميع صورة ناطقة كما كانوا عليه في عصورهم وحياتهم[9].

الفرع الثاني ـ في بيان أثر دلالات القصص القرآني في الخطاب التشريعي

أنواع القصص القرآني :

النـــــوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن هذا النوع دعوة الأنبياء لقومهم والمعجزات التي أيدهم الله تعالى بها، وموقف المعاندين من قومهم لهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة كل من المؤمنين والمكذبين، كما ورد ذلك في القرآن الكريم في قصة نوح، وإبراهيم، وموسى وهارون، وعيسى، ومحمد وغيرهم من الأنبياء والمرسلين[10] عليهم جميعا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

النـــــوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم[11].

النـــــوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.[12]

أغراض القصة :

أولا: الهدف الأكبر للقصص في القرآن هو إثبات النبوة، وأن القرآن وحي من الله تعالى، فالنبي صلى الله عليه وسلم أمّيّ لا يقرأ ولا يكتب، وقومه كذلك أميون، قال الله تعالي ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[13]، ولم ينشأ بين أهل الكتاب، ولا خالط أحدا من أهل العلم بالكتاب السابق، فلما جاء بهذه الأخبار ينبئ بها نبأ الأنبياء مع أممهم، فيطابق ما كان عند أهل الكتاب صوابا لم يدخله خطأ، فدل ذلك القصص على أنه لا يمكن إلا أن يكون تلقيا من عالم الغيب والشهادة[14].

ثانيا: العبرة والموعظة في بيان مدى قدرة الله تعالى وبالغ جبروته وسطوته، والكشف عمّا حاق بالأمم الماضية من فنون العذاب والهلاك، لتجبّرها وعنادها واستكبارها على الحق. فمن تلك القصص المتتالية السريعة كسورة القمر، والتي عرضت شيئا من جبروت الله وقدرته، قوله تعالي َ: ﴿**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَراءَةٌ فِي الزُّبُرِ أَمْ**

يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُر﴾[15]، والتنبه إلى أن الدين السماوي الذي بعث به الأنبياء واحد، وأن رسالات الرسل والأنبياء واحدة لا تعارض فيها ولا اختلاف ، وأن بعثة هؤلاء الرسل إنما كانت لتأكيد حقيقة واحدة لا خلاف حولها[16]، قال تعالي :﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾**[17]

ثالثا: تثبيت فؤاد الرسول - صلّى الله عليه وسلّم في مجال الدعوة، وحمله على الصبر على ما قد يراه من أذى قومه له، وبيان أن الله عزّ وجلّ ينصر رسله مهما نزل بهم من العذاب وطاف حولهم من البلاء. ولا شك أن في ذكر أخبار الأنبياء من قبله وما كابدوه من إيذاء قومهم، ثم نصر الله عزّ وجلّ لهم، ما يدعوه إلى التحمّل والصبر ويبثّ في قلبه روحا من الطمأنينة والنشاط[18]. قال تعال :﴿ **فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ**﴾[19] وقوله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ، إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[20]

المطلب الثاني ـ التعريف بكل من سورتي النمل والقصص ، وبه مطلبين اثنين

الفرع الأول: التعريف بسورة النمل

من أشهر أَسْمَائِهَا «سُورَةُ النَّمْلِ» .. وَتُسَمَّى أَيْضًا «سُورَةُ سُلَيْمَانَ» ،[21] و أَنَّهَا تُسَمَّى «سُورَةَ الْهُدْهُدِ» . وَوَجْهُ الْأَسْمَاءِ الثَّلَاثَةِ أَنَّ لَفْظَ النَّمْلِ وَلَفْظَ الْهُدْهُدِ لَمْ يُذْكَرَا فِي سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ غَيْرِهَا، وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا «سُورَةَ سُلَيْمَانَ» فَلِأَنَّ مَا ذُكِرَ فِيهَا مِنْ مُلْكِ سُلَيْمَانَ مُفَصَّلًا لَمْ يُذْكَرْ مِثْلُهُ فِي غَيْرِهَا.

نزولها: مكية.. نزلت بعد الشعراء.. ، وعدد آياتها: ثلاث وتسعون آية، وقيل أربع وتسعون، وقيل خمس وتسعون ، وعدد كلماتها: ألف ومائة وتسع وأربعون كلمة ، وعدد حروفها: أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا.[22]

مقاصد السورة وأهدافها : وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط المستقيم، وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين، لإحاطة علم منزله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين، وكل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة، فالمقصود الأعظم منها: إظهار العلم والحكمة، كما كان مقصود التي قبلها: إظهار البطش والنقمة، وأدل ما فيها على هذا المقصود: ما للنمل من حسن التدبير وسداد المذاهب في العيش، ولاسيما ما ذكر عنها سبحانه من صحة القصد في السياسة، وحسن التعبير عن ذلك القصد، وبلاغة التأدية.[23]

أَغْرَاضِ السُّورَةِ : افْتِتَاحُهَا بِمَا يُشِيرُ إِلَى إِعْجَازِ الْقُرْآنِ بِبَلَاغَةِ نَظْمِهِ وَعُلُوِّ مَعَانِيهِ، بِمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ الْحَرْفَانِ الْمُقَطَّعَانِ فِي أَوَّلِهَا، وَالتَّحَدِّي بِعِلْمِ مَا فِيهِ مِنْ أَخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَفِي ذَلِكَ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ نُبُوءَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِسَالَةٌ تُقَارِنُهَا سِيَاسَةُ الْأُمَّةِ ثُمَّ يَعْقُبُهَا مُلْكٌ، وَهُوَ خِلَافَةُ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[24]

قَالَ بعض أهل العلم : لَيْسَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ إِحْكَامٌ وَلَا نَسْخٌ. وَنَفْيُهُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا إِحْكَامٌ وَلَا نَسْـخٌ مَعْنَاهُ أَنَّهَا لَمْ تَشْتَمِلْ عَلَى تَشْرِيعٍ قَارٍّ وَلَا عَلَى تَشْرِيعٍ مَنْسُوخٍ. وَقَالَ البعض الآخر فِي تَفْسِيرِ آيَةِ ﴿**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ**﴾[25] الْآيَةَ نَسَخَتْهَا آيَةُ الْقِتَالِ ، فالْآيَةَ النَّازِلَةَ بِالْقِتَالِ فِي سُورَةِ الْبَرَاءَةِ[26].

مناسبة السورة لما قبلها :

كانت الآيات التي ختمت بها سورة الشعراء، دفاعا عن القرآن الكريم، من أن يكون من واردات الشعر، كما كانت دفاعا عن النبيّ، أن يكون من زمرة الشعراء.. وكان بدء سورة «النّمل» .. حديثا عن هذا القرآن، الذي هو منقطع عن كل سبيل يصله بالشعر، حيث أنه هدى وبشرى للمؤمنين الذين يؤمنون به، يتعاملون بأحكامه وآدابه، على حين أن الشعر يقوم عموده على غير هذا الطريق الجادّ المستقيم.. كما كان هذا البدء حديثا عن النبيّ، بأنه بمعزل عن الموارد التي يردها الشعراء، وأن النبيّ- صلوات الله وسلامه عليه- يتلقى هذا القرآن وحيا من لدن حكيم عليم.. ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[27]، فالمناسبة بين بدء سورة النمل، وختام سورة الشعراء، ظاهرة، والالتحام بينهما. قويّ[28]

الفرع الثاني التعريف بسورة القصص

سُمِّيَتْ سُورَةَ الْقَصَصِ وَلَا يُعْرَفُ لَهَا اسْمٌ آخَرُ. وَوَجْهُ التَّسْمِيَةِ بِذَلِكَ وُقُوعُ لَفْظِ الْقَصَصَ فِيهَا عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَلَمَّا جاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾[29]. فَالْقَصَصُ الَّذِي أُضِيفَتِ إِلَيْهِ السُّورَةُ هُوَ قَصَصُ مُوسَى الَّذِي قَصَّهُ عَلَى شُعَيْبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِيمَا لَقِيَهُ فِي مِصْرَ قَبْلَ خُرُوجِهِ مِنْهَا. فَلَمَّا حُكِيَ فِي السُّورَةِ مَا قَصَّهُ مُوسَى كَانَتْ هَاتِهِ السُّورَةُ ذَاتَ قَصَصٍ لِحِكَايَةِ قَصَصٍ، فَكَانَ الْقَصَصُ مُتَوَغِّلًا فِيهَا.[30]

نزولها: مكية، باتفاق ، وعدد آياتها: ثمان وثمانون.. بلا خلاف ، و عدد كلماتها: ألف وأربعمائة، وواحدة ، وعدد حروفها: خمسة آلاف، وثمانمائة حرف.[31]

أسباب نزول بعض آياتها:

جاء في ذكر أسباب نزول بعض آيات هذه السورة عند صاحب كتاب الصحيح المسند من أسباب النزول قوله[32] في آية : ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[33]، وآية ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[34]، فعن يحيى بن جعدة قال نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم[35] ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾الآية، قال الجعبري[36] وغيره: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[37] ، قال يحيى بن معاذ: جاء جبريل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - لما هاجر، وهو بالجحفة فقال: يا محمد أتشتاق إلى بلادك التي ولدت فيها؟ فقال: نعم، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[38]، وعن أبي هريرة قال قال رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعمه عند الموت: قل لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله". فأبى فأنزل الله[39] ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية.

مقاصد السورة وأهدافها: التواضع للهِ، والإيمان بالآخرة، الناشئ عن الإيمان بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - الثابتة بإعجاز القرآن[40] .

أَغْرَاضُهَا: التَّنْوِيهِ بِشَأْنِ الْقُرْآنِ وَالتَّعْرِيضِ بِأَنَّ بُلَغَاءَ الْمُشْرِكِينَ عَاجِزُونَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ. وَعَلَى تَفْصِيلِ مَا أُجْمِلَ فِي [سُورَةِ الشُّعَرَاءِ 18، 19] مِنْ قَوْلِ فِرْعَوْنَ لِمُوسَى أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً إِلَى قَوْلِهِ وَأَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ فَفَصَّلَتْ سُورَةُ الْقَصَصِ كَيْفَ كَانَتْ تَرْبِيَةُ مُوسَى فِي آلِ فِرْعَوْنَ، وَبَيَّنَ فِيهَا سَبَبَ زَوَالِ مُلْكِ فِرْعَوْنَ.[41]، وإلى إثبات قدرة الله تعالى، ورعايته للمؤمنين فهو، سبحانه، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، المتفرّد بالحكم والقضاء، قد آزر موسى وحيدا، فريدا، طريدا، ونجّاه من بطش فرعون، وأغرق فرعون وجنوده، كما أهلك قارون وقومه.[42]

وَفِيهَا تَفْصِيلُ مَا أُجْمِلَ فِي [سُورَةِ النَّمْلِ 7] مِنْ قَوْلِهِ ﴿إِذْ قالَ مُوسى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ فَفَصَّلَتْ سُورَةُ الْقَصَصِ كَيْفَ سَارَ مُوسَى وَأَهْلُهُ وَأَيْنَ آنَسَ النَّارَ وَوَصْفَ الْمَكَانِ الَّذِي نُودِيَ فِيهِ بِالْوَحْيِ إِلَى أَنْ ذَكَرَتْ دَعْوَةَ مُوسَى فِرْعَوْنَ فَكَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ أَوْعَبَ لِأَحْوَالِ نَشْأَةِ مُوسَى إِلَى وَقْتِ إِبْلَاغِهِ الدَّعْوَةَ ثُمَّ أَجْمَلَتْ مَا بَعْدَ ذَلِكَ لِأَنَّ تَفْصِيلَهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَفِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ. وْ قَدْ كَانَ سَوْقُ تِلْكَ الْقِصَّةِ إِنَّمَا هُوَ لِلْعِبْرَةِ وَالْمَوْعِظَةِ لِيَعْلَمَ الْمُشْرِكُونَ سُنَّةَ اللَّهِ فِي بِعْثَةِ الرُّسُلَ.

وَتَحَدَّى الْمُشْرِكِينَ بِعِلْمِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ وَهُوَ أُمِّيٌّ لَمْ يَقْرَأْ وَلَمْ يَكْتُبْ وَلَا خَالَطَ أَهْلَ الْكِتَابِ، ذَيَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِتَنْبِيهِ الْمُشْرِكِينَ إِلَيْهِ وَتَحْذِيرِهِمْ مِنْ سُوءِ عَاقِبَةِ الشِّرْكِ وَأَنْذَرَهُمْ إِنْذَارًا بَلِيغًا[43] .

مناســـــبة الســـــورة لما قبلها : جاء في سورة الشعراء، ثم في سورة النمل، السابقتين على هذه السورة- حديث موجز عن موسى وفرعون.. فقد جاء في «الشعراء» قول فرعون لموسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ﴾[44] وجاء في هذه السورة- القصص- بيان مفصّل لهذه الفترة من حياة موسى، تحدّثت عن مولده، وإلقائه في اليم، والتقاط آل فرعون له، ونشأته فى بيت فرعون تمنّى له.. ثم قتله المصري، ثم فراره إلى مدين.. وهذه الأحداث كلّها قد طويت طيّا في الآيتين السابقتين من [سورة الشعراء] وجاء في [سورة النمل أية 7] : ﴿إِذْ قالَ مُوسى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ ناراً سَآتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ولم يذكر فيها من هم أهله؟ ومن أين جاءوا؟ وما وجهتهم معه؟. فجاء في [سورة القصص].. فرار موسى إلى أرض مدين، ولقاؤه شعيبا، وتزوّجه بإحدى ابنتيه اللتين لقيهما على ماء مدين، وسقى لهما ... كما سنرى ذلك مفصلا في هذه السورة.[45]، وتستغرق قصة موسى عليه السلام ، حيّزا كبيرا من [سورة القصص]، فمن بداية السورة إلى [الآية 48]، نجد حديثا مستفيضا عنه. أي أنّ معظم [سورة القصص]، يتناول قصة موسى عليه السلام والحكمة في ذلك، أنّ هذه السورة نزلت في مكّة، في مرحلة قاسية، كان المسلمون فيها قلّة مستضعفة، والمشركون أصحاب الحول والطّول والجاه والسلطان فنزلت هذه السورة تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم وتقرّر أنّ هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوة الله سبحانه وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له ولا طمأنينة، ولو ساندته القوى جميعا. [46]

المبحث الثاني ـ تحليل نص القصة في سورة النمل وتقابل المدلولات بيانيا:

كانت السور تنزل القصار منها والطوال بترتيب من الوحي الإلهي، فترتيبها توقيف من الله تعالى ووحيه ، وإنَّ وضع الآيات بعضها بجوار بعض من وحي الله تعالى أيضا ؛ إذ كانت الآيات تنزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - وأمر بوضعها في مكانها من السورة التي يعينها بالوحي النازل عليه ، فإن ذلك من الإعجاز ؛ فالآيتان المتلاصقتان مع أنهما قد تكونان نزلتا في زمنين متباعدين ، نجد أن كل واحدة لقف للأخرى ، فهما صنوان متلازمتان ، وذلك من سرّ الإعجاز ودلائله ؛ إذ إنَّ التناسق

البياني بينهما متصل ، والمعاني متلاقية ، وكل واحدة منها تتم للأخرى بحيث لا يتصور القارئ للقرآن الكريم أن بينهما فارقًا زمنيًّا في النزول.

وبجانب ذلك قد نجد في القرآن تشابها، وهو من تصريف البيان، لا من الإطناب المجرَّد ؛ إنما هو لمقاصد ولتوجيه النظر، ولقد لاحظ ذلك الأقدمون الذين تكلموا في سر الإعجاز[47] .

المطلب الأول / تحليل نص القصة في سورة النمل:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾، عليم حين قال موسى(لأَهْلِهِ) وهو في مسيره من مدين إلى مصر، وقد آذاهم برد ليلهم[48]، فَالْجُمْلَةُ اسْتِئْنَافٌ ابْتِدَائِيٌّ. وَمُنَاسَبَةُ مَوْقِعِهَا إِفَادَةُ تَنْظِيرِ تَلَقِّي النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ بِتَلَقِّي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَامَ اللَّهِ، وَذَلِكَ مِنْ بَدِيعِ التَّخَلُّصِ إِلَى ذِكْرِ قِصَصِ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ مَا فِيهِ مَثَلٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَمَا يُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ[49].

﴿إني ءانست نارا﴾ أي أبصرت نارا أو أحسستها[50]، فامكثوا مكانكم﴿ سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ يعني من النار، ﴿ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ بمعنى: أو آتيكم بشعلة نار أقتبسها منها[51]، ثم إنه في النمل قال: ﴿" إِنِّي آنَسْتُ نَاراً "﴾ و في القصص: ﴿"آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً"﴾ فزاد: " مِنْ جَانِبِ الطُّورِ" وذلك لمقام التفصيل الذي بنيت عليه القصة في سورة القصص[52].

والشهاب: الجمر المشتعل، والقبس: جمرة أو شعلة نار تقبس، أي يؤخذ اشتعالها من نار أخرى ليشعل بها حطب أو ذبالة نار أو غيرهما.[53] ، يقول : إني رأيت نارا ، وهو نور رب العزة جل ثناؤه، سأتيكم منها بخير ، وقد كان تحير وترك الطريق [54]، وقال في النمل: ﴿" سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ"﴾. وقال في القصص: ﴿" لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ"﴾ فبنى الكلام في النمل على القطع "سَآتيكُم" وفي القصص على الترجي "لعَلّي آتيكُمْ"، وذلك أن مقام الخوف في القصص لم يدعه يقطع بالأمر، ولقد تحدثنا فيه سابقا في التوطئة فراجعه هناك، ثم أنه أكد الإتيان في سورة النمل لقوة يقينه وثقته بنفسه، والتوكيد يدل على القوة، في حين لم يكرر فعل الإتيان في القصص مناسبة لجو الخوف[55].

وقال في سورة النمل: ﴿" أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ"﴾[56] وقال في القصص: ﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ"﴾[57] ، فذكر في سورة النمل أنه يأتيهم بشهاب قبس، والشهاب: هو شعلة من النار ساطعة، و"القبس" يقال: قَبَسَ نَارًا يَقْبِسُهَا أي أَخَذَهَا مِنْ مُعْظَمِهَا وَقَبَسَ عِلْمًا تَعَلَّمَهُ وَالْقَبَسُ بِفَتْحَتَيْنِ شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ يَقْتَبِسُهَا الشَّخْصُ[58]، والمجيء بالشهاب أحسن من المجيء بالجمرة، لأن الشهاب يدفئ

أكثر من الجمرة لما فيه من اللهب الساطع، كما أنه ينفع في الاستنارة أيضا. فهو أحسن من الجذوة في الاستضاءة والدفء ، أما في القصص فقد ذكر أنه ربما أتى بجمرة من النار، ولم يقل إنه سيقبسها منها[59]، والْجَذْوَةُ الْجَمْرَةُ الْمُلْتَهِبَةُ وَتُضَمُّ الْجِيمُ وَتُفْتَحُ فَتُجْمَعُ جُذًى وَتُكْسَرُ فِي الْجَمْعِ[60]، والجذوة قد تكون قبسا وغير قبس، ولا شك أن الحالة الأولى أكمل وأتم لما فيها من زيادة نفع الشهاب على الجذوة، ولما فيها من الدلالة على الثبات وقوة الجنان، وقد وضع كل تعبير في موطنه اللائق به، ففي موطن الخوف ذكر الجمرة ، وفي غير موطن الخوف ذكر الشهاب والقبس[61].

وقال في النمل "يا موسَى" وقال في القصص: "أَنْ يا موسَى" فجاء بـ (أن) المفسرة في القصص، ولم يأت بها في النمل، وذلك لأكثر من سبب:

- منها أن المقام في النمل مقام تعظيم لله سبحانه، وتكريم لموسى فشرفه بالنداء المباشر في حين ليس المقام كذلك في القصص، فجاء بما يفسر الكلام، أي: ناديناه بنحو هذا.

- ومنها أن المقام في سورة القصص مقام تبسّط وتفصيل فجاء بـ (أن) زيادة في التبسط

- ومنها أن ثقل التكليف في النمل يستدعي المباشرة في النداء، ذلك أن الموقف يختلف بحسب المهمة وقوة التكليف كما هو معلوم[62].

وقال في النمل: ﴿إِنَّهُ أَنا اللهُ العَزيزُ الحَكيمُ﴾[63]، وقال في سورة القصص: ﴿إِنّي أَنا اللهُ رَبُّ العالَمينَ"﴾[64]، فجاء بضمير الشأن الدال على التعظيم في آية النمل: "إِنّه أنا" ولم يأت به في القصص، ثم جاء باسميه الكريمين "العَزيزُ الحَكيم" في النمل زيادة في التعظيم ، ثم إن فرعون حاكم متجبر يرتدي رداء العزّة، وقد أقسم السحرة بعزته قائلين: ﴿**بِعِزَّةِ فِرعَوْنَ إِنّا لَنَحْنُ الغَالِبونَ**﴾ [65]. فاختار من بين أسمائه (العزيز) معرفا بالألف واللام للدلالة على أنه هو العزيز ولا عزيز سواه، و(الحكيم) للدلالة على أنه لا حاكم ولا ذا حكمة سواه، فهو المتصف بهاذين الوصفين على جهة الكمال حصرا. وفي تعريف هذين الاسمين بالألف واللام من الدلالة على الكمال والحصر ما لا يخفى ما لو قال (عزيز حكيم) فإنه قد يشاركه فيهما آخرون[66]، وقوله تعالى ﴿ **فلما جاءها نودي** ... ﴾ أي النار، وهو نور رب العزة ، تبارك وتعالى[67]، وقوله:﴿ **لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ** ﴾ يقول: كي تصطلوا بها من البرد. وقوله: ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[68] ، عن ابن عباس يقول: قدّس ، واختلف أهل التأويل في المعنّي بقوله(مَنْ فِي النَّارِ) فقال بعضهم: عنى جلّ جلاله بذلك نفسه، وهو الذي كان في النار، وكانت النار

نوره تعالى ذكره في قول جماعة من أهل التأويل ، فعن ابن عباس، في قوله:﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ يعني نفسه; قال: كان نور ربّ العالمين في الشجرة ، وعن سعيد بن جُبير، قال: ناداه وهو في النار ، و عن الحسن قال: هو النور ، قال معمر: نور الله بورك ، وقال آخرون: بل معنى ذلك: بوركت النار[69]، و عن مجاهد:﴿ نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ بوركت النار. كذلك قاله ابن عباس ، ومن في النار مراد به موسى فإنه لما حل في موضع النور صار محيطا به فتلك الإحاطة تشبه إحاطة الظرف بالمظروف، فعبر عنه ب من في النار وهو نفسه ، والعدول عن ذكره بضمير الخطاب كما هو مقتضى الظاهر، لأن في معنى صلة الموصول إيناسا له وتلطفا[70] ، كقول النبيء صلى الله عليه وسلم لعلي «قم أبا تراب» فهذا التبريك تبريك ذوات لا تبريك مكان بدليل ذكر من الموصولة في الموضعين[71]، ثم إنه قال في النمل: ﴿" نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"﴾[72] ولم يذكر مثل ذلك في القصص، بل ذكر جهة النداء فقط، وذلك لأن الموقف في النمل موقف تعظيم[73].

ـ وسبحان الله رب العالمين- عطف على ما نودي به موسى على صريح معناه إخبارا بتنزيه الله تعالى عما لا يليق بإلهيته من أحوال المحدثات ليعلم موسى أمرين: أحدهما أن النداء وحي من الله تعالى، والثاني أن الله منزه عما عسى أن يخطر بالبال أن جلالته في ذلك المكان[74] ، وقوله:﴿**وَمَنْ حَوْلَهَا** ﴾ يقول: ومن حول النار ، وعن ابن عباس:(وَمَنْ حَوْلَهَا) قال: يعني الملائكة ، ﴿ **إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ** ﴾ في نقمته من أعدائه(الحَكِيمُ) في تدبيره في خلقه .

ـ وذكر في القصص جهة النداء فقال: ﴿ **فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ** ﴾ ولم يذكر الجهة في النمل، وذلك لأن موطن القصص موطن تفصيل، وموطن النمل موطن إيجاز كما مر بنا سابقا[75]، ثم إنه جل في علاه قال في النمل: ﴿"يا موسَى لا تَخَفْ"﴾ وقال في القصص: ﴿"**يا موسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ**"﴾ ، بزيادة (أقبل) على ما في النمل ، وفي ذلك وجوه منها : أن مقام الإيجاز في النمل يستدعي عدم الإطالة بخلاف مقام التفصيل في القصص ، ومنها أن شيوع جو الخوف في القصص يدل على إيغال موسى في الهرب، فدعاه إلى الإقبال وعدم الخوف[76] ، وقيل في تصريف القول في هذه الآية أن "" قوله "لا تخف" الأية (10) وفي القصص "أقبل ولا تخف" الأية (31) لأنه بنى على ذكر الخوف كلاما يليق به وهو قوله ﴿إني لا يخاف لدي المرسلون﴾[77]، وفي القصص اقتصر على قوله لا تخف، ولم يبن عليه

كلام فزيد قبله أقبل ليكون في مقابلة مدبرا الاية(31) أي أقبل آمنا غير مدبر ولا تخف، فخصت هذه السورة به[78] .

وقال في النمل: ﴿"إنّي لا يَخافُ لَدَيّ المُرْسَلونَ﴾" وقال في القصص: ﴿"إنّكَ مِنَ الآمِنينَ"﴾، ذلك أن المقام في سورة القصص مقام الخوف، والخائف يحتاج إلى الأمن فأمنه قائلا:﴿ "إنّكَ مِنَ الآمِنينَ﴾"[79]، وأما في سورة النمل فالمقام مقام التكريم والتشريف، فقال: ﴿"إنّي لا يَخافُ لَدَيّ المُرسَلونَ"﴾ ، وهذا تكريم وتشريف ، وأيضا لفظ: (لَدَيّ) مشعر بالقرب، وهو زيادة في التكريم والتشريف[80].

وذكر بعض أهل العلم أن في قوله : ﴿ وألق عصاك ﴾ وفي القصص ﴿وأن ألق عصاك ﴾ لأن في هذه السورة ﴿ نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك﴾ (8 _9_ 10) فحيل بينهما بهذه الجملة فاستغنى عن إعادة أن[81] ، وقيل جاء بـ (أن) المفسرة أو المصدرية لزيادة البيان[82]، وقوله:﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ ﴾ في الكلام محذوف تُرك ذكره، استغناء بما ذُكِر عما حذف، وهو فألقاها فصارت حية تهتز﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ يقول: كأنها حية عظيمة، والجانّ: جنس من الحيات معروف[83] ، والتشبيه في سرعة الاضطراب لأن الحيات خفيفة التحرك، وأما تشبيه العصا بالثعبان في آية ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾[84]، فذلك لضخامة الجرم[85].

وقوله:﴿ وَلَّى مُدْبِرًا ﴾ يقول تعالى ذكره: ولى موسى هاربا خوفا منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ عند مجاهد في قول الله:﴿ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ قال: لم يرجع ، وعن معمر، عن قتادة، قال: لم يلتفت ، وبعض أهل العلم قال هذا من باب التدريب على مراحل حيث جاء عن ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله:(وَلَمْ يُعَقِّبْ) أي لم يرجع لما ألقى العصا صارت حية، فرعب منها وجزع، فقال الله:﴿إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ قال: فلم يرعو لذلك، قال: فقال الله له:﴿ أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ﴾ قال: فلم يقف أيضا على شيء من هذا حتى قال:﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأولَى ﴾ قال: فالتفت فإذا هي عصا كما كانت، فرجع فأخذها، ثم قوي بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها[86].

والتولي: الرجوع عن السير في طريقه. ولعل قصد إفادة قوة توليه لما رأى عصاه تهتز هو الداعي لتأكيد فعل ولى بقوله: مدبرا ولم يعقب ، والإدبار: التوجه إلى جهة الخلف وهو ملازم للتولي والتعقب: الرجوع بعد الانصراف أي تأكيد لشدة توليه، أي ولى توليا قويا لا تردد فيه[87].

ثم قال تعالى:﴿ إلا من ظلم ... ﴾[88]، أي إلا من ظلم نفسه من الرسل ، فإنه يخاف ، فكان منهم آدم ، ويونس وسليمان ، وأخوة يوسف ، وموسى بقتله النفس عليهم السلام ، ثم بدل حسنا بعد سوء أي فمن بدل إحسانا بعد إساءته فإني غفور رحيم[89]، وفي قوله تعالى :﴿ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلا مَنْ ظَلَمَ ﴾ أي فناداه ربه: يا موسى لا تخف من هذه الحية، إني لا يخاف لديّ المرسلون. يقول: إني لا يخاف عندي رسلي وأنبيائي الذين أختصهم بالنبوّة، إلا من ظلم منهم، فعمل بغير الذي أذن له في العمل به ، وعن ابن جُرَيج، قال: قوله:﴿يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ قال: لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم، فإن أصابه أخافه حتى يأخذه منه ، فعن عبد الله بن المبارك، عن الحسن، قال: قوله:﴿ يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلا مَنْ ظَلَمَ ﴾ قال: إني إنما أخفتك لقتلك النفس، قال: وقال الحسن: كانت الأنبياء تذنب فتعاقب ، وهذا الكلام له وجهان: أحدهما أن يقول: إن الرسل معصومة مغفور لها آمنة يوم القيامة، ومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يخاف ويرجو، والآخر: أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا في الكلمة، لأن المعنى: لا يخاف لديّ المرسلون، إنما الخوف على من سواهم، ثم استثنى فقال:﴿ إلا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا ﴾ يقول: كان مشركا، فتاب من الشرك، وعمل حسنا، فذلك مغفور له، وليس يخاف، و- إلا- في اللغة بمنزلة الواو، فيكون المعنى: لا يخاف لديّ المرسلون، ولا من ظلم ثم بدّل حسنا، قال: وجعلوا مثله كقول الله: ﴿ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾[90] ، أي ذنب قبل اصطفائه للرسالة[91]، وعن مجاهد، قوله:﴿إِلا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ ﴾ ثم تاب من بعد إساءته ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، وقال في النمل: ﴿"إلّا منْ ظَلَمَ ثمّ بَدّلَ حُسنا بَعدَ سوء فإنّي غَفورٌ رحيمٌ﴾ ولم يقل مثل ذلك في القصص، لأنه لا يحسن أن يقال: ﴿إنك من الآمنين إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء﴾ ولو قال هذا لم يكن كلاما[92].

وقوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾[93]، أي ولى موسى عليه السلام فزعا منها، و لَمْ يُعَقِّبْ، معناه لم يرجع على عقبه، من توليه فقال الله تعالى يا مُوسى أَقْبِلْ فأقبل وقد آمن بتأمين الله إياه، ثم أمره بأن يدخل يده في جيبه وهو فتح الجبة من حيث يخرج رأس الإنسان، وروي أن كم الجبة كان في غاية الضيق فلم يكن له جيب تدخل يده إلا في جيبه، و «سلك» معناه أدخل ، وروي أن يده كانت تضيء كأنها قطعة شمس، وقوله تعالى: وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ذهب مجاهد وابن زيد إلى أن ذلك

حقيقة، أمره بضم عضده وذراعه وهو الجناح إلى جنبه ليخف بذلك فزعه، ومن شأن الإنسان إذا فعل ذلك في أوقات فزعه أن يقوى قلبه، وذهبت فرقة إلى أن ذلك على المجاز والاستعارة وأنه أمره بالعزم على ما أمر به، وذلك لما كثر تخوفه في غير ما موطن [94]، وقوله تعالى ﴿ فَذانِكَ بُرْهانانِ ﴾ قال مجاهد والسدي: هي إشارة إلى العصا واليد[95] .

وعن ابن جريج عن مجاهد:﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ قال: الكف فقط في جيبك، قال: كانت مدرعة إلى بعض يده، ولو كان لها كُمٌّ أمره أن يدخل يده في كمه ، وعن ابن مسعود: إن موسى أتى فرعون حين أتاه في ذُرْ مانقة، يعني جبة صوف[96].

وقوله:﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ ﴾ يقول: تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى ﴿ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ يقول: من غير برص[97] ، وذكر بعض أهل العلم أن قوله وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء (الأية12) وفي القصص اسلك يدك (الأية32) خصت هذه السورة ب- أدخل- لأنه أبلغ من قوله اسلك، لأن اسلك يأتي لازما ومتعديا، وأدخل متعد لا غير، ولأن في هذه السورة "في تسع آيات" أي مع تسع آيات مرسلا إلى فرعون، وخصت القصص بقوله اسلك موافقة لقوله اضمم (الآية 32) ثم قال فذانك برهانان من ربك (الآية 32) فكان دون الأول فخص بالأدنى والأقرب من اللفظين[98]

قوله:﴿ تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾[99] قال: هي التي ذكر الله في القرآن: العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والطوفان، والدم، والحجر، والطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم[100] ، فآيتان منهما أعطى موسى ، عليه السلام ، بالأرض المقدسة اليد والعصى ، حين أرسل إلى فرعون ، وأعطى سبع آيات بأرض مصر حين كذبوه ، فكان أولها اليد ، وآخرها الطمس[101]، و قال في النمل: ﴿"إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ"﴾ وقال في القصص: ﴿"إلى فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ"﴾ فوسع دائرة التبليغ في النمل لمناسبة ثقة موسى بنفسه التي أوضحتها القصة. ولما وسّع دائرة التبليغ وسّع الآيات التي أعطيها، بخلاف ما ورد في القصص[102] وبعض أهل العلم قال :" قوله إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين (الآية12) وفي القصص إلى فرعون وملئه (الآية 32) لأن الملأ أشراف القوم وكانوا في هذه السورة موصوفين بما وصفهم الله به من قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها (الآية 13- 14) الآية فلم يسمهم ملأ بل سماهم قوما وفي القصص لم يكونوا موصوفين بتلك الصفات فسماهم ملأ وعقبه وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري[103] ، في حين

ليس الأمر كذلك في قصة النمل، فإنها ليس فيها ذكر للخوف إلا في مقام إلقاء العصا، فاقتضى أن يكون التعبير مناسبا للمقام الذي ورد فيه[104].

قال في النمل: ﴿"في تِسْعِ آياتٍ"﴾ وقال في القصص: ﴿"فَذانِكَ بُرهانانِ"﴾ فقد أعطاه في النمل تسع آيات إلى فرعون، وذكر في القصص برهانين، وذلك لما كان المقام في النمل مقامَ ثقة وقوة وسّع المهمة، فجعلهما إلى فرعون وقومه، ووسّع الآيات فجعلها تسعا، ولما كان المقام مقام خوف في القصص، ضيّق المهمة ، وكل تعبير وضع في مكانه المناسب[105]، وقوله تعالى ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ﴾[106] أوجز بقية القصة وانتقل إلى العبرة بتكذيب فرعون وقومه الآيات، ليعتبر بذلك حال الذين كذبوا بآيات محمد صلى الله عليه وسلم، وقصد من هذا الإيجاز طي بساط القصة لينتقل منها إلى قصة داود ثم قصة سليمان المبسوطة في هذه السورة. والمراد بمجيء الآيات حصولها واحدة بعد أخرى وهي الآيات الثمان التي قبل الغرق[107]، وقوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ يقول: إن فرعون وقومه من القبط كانوا قوما فاسقين، يعني كافرين بالله[108] وقيل ﴿إنهم كانوا قوما فاسقين ﴾ (آية 13) يعنى عاصين[109] .

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾[110] (14) فعن ابن جُرَيج: يقول: قال فرعون وقومه: هذا الذي جاءنا به موسى سحر مبين، يقول: يبين للناظرين له أنه سحر[111]، النمل (الآية13) ﴿ فلما جاءتهم آياتنا . . ﴾ فلما جاءتهم ءايتنا مبصرة أي مبينة معاينة يرونها، قالوا : يا موسى هذا الذي جئت به سحر مبين يعنى بين[112] ، وقوله:﴿وَجَحَدُوا بِهَا ﴾ يقول: وكذبوا بالآيات التسع فعن ابن جُرَيج قال: الجحود: التكذيب بها ، وقوله: ﴿ وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾ أي وعلموا يقينا أنها من عند الله، فعاندوا بعد تبينهم الحق ،فعن ابن عباس: قال: يقينهم في قلوبهم[113] ، وإنما استيقنوا بالآيات أنها من الله ، لدعاء موسى ربه أن يكشف عنهم الرجز ، فكشفه عنهم ، وقد علموا ذلك[114] ، و عن ابن جُرَيج، في قوله: ﴿ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ قال: تعظما واستكبارا[115]، وقوله:﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ، أي فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة، وماذا حل بهم من إفسادهم في الأرض ومعصيتهم فيها ربهم[116] ، وقيل - فانظر كيف كان عاقبة المفسدين - أي في الأرض بالمعاصي ، فكان عاقبتهم الغرق [117] .

المبحث الثالث : تحليل نص القصة في سورة القصص وتقابل المدلولات بيانيا

يقول الله تعالى في سورة القصص: ﴿طسم (1) تلك آيات الكتاب المبين (2) نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون (3) ﴾[118]

فقد مهد لنبإ موسى وفرعون بقوله نتلوا عليك للتشويق لهذا النبإ لما فيه من شتى العبر بعظيم تصرف الله في خلقه ، واللام في لقوم يؤمنون لام التعليل، أي نتلو عليك لأجل قوم يؤمنون أن ينتفع بذلك قوم يؤمنون فهو تنويه بأنهم الذين ينتفعون بالعبر والمواعظ[119] ، أي فنَقْرَأُ عَلَيْكَ وَنَقُصُّ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ خَبَرِ مُوسَى ﴿وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾[120]. لِقَوْمٍ يُصَدِّقُونَ بِهَذَا الْكِتَابِ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَئِهِمْ فِيهِ نَبَؤُهُمْ، وَتَطْمَئِنَّ نُفُوسُهُمْ، بِأَنَّ سُنَّتَنَا فِيمَنْ خَالَفَكَ وَعَادَاكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ سُنَّتُنَا فِيمَنْ عَادَى مُوسَى وَمَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، أَنْ نُهْلِكَهُمْ كَمَا أَهْلَكْنَاهُمْ، وَنُنْجِيَهُمْ مِنْهُمْ كَمَا أَنْجَيْنَاهُمْ[121].

﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ و ابتدأت القصة بذكر أسبابها لتكون عبرة للمؤمنين فلولا تجبر فرعون، لما خرج بنو إسرائيل من ذل العبودية[122] ، والأرض: هي أرض مصر، فالتعريف فيها للعهد لأن ذكر فرعون يجعلها معهودة عند السامع لأن فرعون اسم ملك مصر[123]، ومن البلاغة اختياره هنا ليدل على أنه جعل أهل بلاد القبط فرقا ذات نزعات تتشيع كل فرقة إليه وتعادي الفرقة الأخرى ليتم لهم ضرب بعضهم ببعض، وقد أغرى بينهم العداوة ليأمن تألبهم عليه كما يقال[124] ، فكان يسومهم العذاب والطائفة المستضعفة هي طائفة بني إسرائيل[125].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾[126] يَعْنِي بِالشِّيَعِ: الْفِرَقَ، يَقُولُ: وَجَعَلَ أَهْلَهَا فِرَقًا مُتَفَرَّقِينَ[127] ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[128] يَقُولُ: وَنُوَطِّئُ لَهُمْ فِي أَرْضِ الشَّامِ وَمِصْرَ ﴿ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا ﴾[129] كَانُوا قَدْ أُخْبِرُوا أَنَّ هَلَاكَهُمْ عَلَى يَدِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَكَانُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى وَجَلٍ مِنْهُمْ، وَلِذَلِكَ كَانَ فِرْعَوْنُ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ، فَأَرَى اللَّهُ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ نَبِيِّهِ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَهُ مِنْهُمْ مِنْ هَلَاكِهِمْ وَخَرَابِ مَنَازِلِهِمْ وَدُورِهِمْ[130]، وقال الله تعالى في سورة القصص ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾[131]، والوحي هنا وحي إلهام يوجد عنده من انشراح الصدر ما يحقق عندها أنه خاطر من الواردات الإلهية، وإنما أمرها الله بإرضاعه لتقوى بنيته بلبان أمه فإنه أسعد بالطفل في أول عمره من لبان غيرها[132]، ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ﴾[133] قَذَفْنَا فِي قَلْبِهَا، قاله قتادة[134].

والْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا، إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾[135] وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنِيِّ بِقَوْلِهِ:

{آلُ فِرْعَوْنَ} فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِذَلِكَ: جَوَارِي امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِهِ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ، " ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[136] قَالَ: لِيَكُونَ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ عَدُوًّا وَحَزَنًا لِمَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ ". وَلَيْسَ لِذَلِكَ أَخَذُوهُ، وَلَكِنَّ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ قَالَتْ: ﴿ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ فَكَانَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8] لِمَا هُوَ كَائِنٌ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ لَهُمْ، وقال قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: " ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8] عَدُوًّا لَهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَحَزَنًا لِمَا يَأْتِيهِمْ "[137].

قوله ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ واستوى آتَيْنَاهُ ﴾ أَي كمَّل أَربعين سنة. وقيل: كَمُل عقلُه. وقيل: خرجت لحيته. وفى يوسف ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ فحسب؛ لأَنه أُوحى إليه فى صِباه[138] ، وجملة الآية أنها اعتراض بين أجزاء القصة المرتبة على حسب ظهورها في الخارج. وهذا الاعتراض نشأ عن جملة ﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾[139]

قوله تبارك وتعالى ﴿ولما بلغ أشده واستوى ﴾[140] أي كمل أربعين سنة وقيل غير ذلك ، و «الأشد» شدة البدن واستحكام أسره وقوته، واسْتَوى معناه تكامل عقله وحزمه، وذلك عند الجمهور مع الأربعين، و «الحكم» الحكمة، و «العلم» ، والمعرفة بشرع إبراهيم عليه السلام وهي مقدمة نبوته عليه السلام[141] ،

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ، فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ، قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾[142] ، يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿ وَدَخَلَ ﴾ [سورة يوسف:36] مُوسَى ﴿الْمَدِينَةَ﴾ [سورة الأعراف:123] مَدِينَةَ مَنْفَ مِنْ مِصْرَ ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: 15] وَذَلِكَ عِنْدَ الْقَائِلَةِ نِصْفَ النَّهَارِ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ دَخَلَ مُوسَى هَذِهِ الْمَدِينَةَ فِي هَذَا الْوَقْتِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: " ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [سورة القصص:15] قَالَ: لَيْسَ غَفْلَةً مِنْ سَاعَةٍ، وَلَكِنْ غَفْلَةٌ مِنْ ذِكْرِ مُوسَى وَأَمْرِهِ[143]، والمراد بالذي من شيعته أنه رجل من بني إسرائيل، وبالذي من عدوه رجل من القبط قوم فرعون[144]، ومعنى كون هذا من شيعته وهذا من عدوه يجوز أن يكون المراد بهذين الوصفين أن موسى كان يعلم أنه من بني إسرائيل بإخبار قصة التقاطه من اليم وأن تكون أمه قد أفضت إليه بخبرها وخبره كما تقدم، فنشأ موسى على عداوة القبط وعلى إضمار المحبة لبني إسرائيل ، وأما وكزه القبطي فلم يكن إلا انتصارا للحق على جميع التقادير[145].

وقوله تعالى:﴿ يَقْتَتِلانِ﴾ في موضع الحال أي مقتتلين، وشِيعَتِهِ بنو إسرائيل، وعَدُوِّهِ القبط، ، «والوكز» الضرب باليد ، معناه قتله مجهزا، وكان موسى عليه السلام لم يرد قتل القبطي لكن وافقت وكزته الأجل وكان عنها موته فندم ورأى أن ذلك من نزغ الشيطان في يده، وأن الغضب الذي اقترنت به تلك الوكزة كان من الشيطان ومن همزه، ونص هو عليه السلام على ذلك وبهذا الوجه جعله من عمله وكان فضل قوة موسى ربما أفرط في وقت غضبه بأكثر مما يقصد[146].

﴿قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين﴾[147]، ولعل هذا الكلام ساقه مساق الاعتبار عن قتله القبطي وثوقا بأنه قتله خطأ[148]، ثم قال: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ وخصّت سورة يس بقوله ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى المدينة﴾ لِمَا جاءَ بالتفسير أَنَّه كان يعبد الله فى جبل، فلمّا سمع خبر الرُّسل سعى مستعجلاً[149]، والجَيْئة والمجئ بمعنى الإتيان لكن المجئ أَعمّ؛ لأَنَّ الإتيان مجئ بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصولُ، والمجئ يقال اعتباراً بالحصول[150]، وقوله ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وفى الصافات: ﴿مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ، لأَنَّ ما هنا من كلام شعيب، والمعنى: ستجدنى من الصالحين فى حسن العشرة، والوفاءِ بالعهد، وفى الصَّافات من كلام إسماعيل حين قال له أَبوه ﴿ أَنِّي أَذْبَحُكَ فانظر مَاذَا ترى﴾ فَأَجاب ﴿ يا أبت افعل مَا تُؤمَرُ ستجدني إِن شَآءَ الله مِنَ الصابرين ﴾ أَي على الذبح.[151]

وقوله ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾[152] 20، يحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون من أقصى المدينة صفة لرجل والثاني أن يكون صلة لجاء والثالث أن يكون صلة ليسعى والأظهر في هذه السورة أن يكون وصفا[153]، و«آنس» معناه أحس والإحساس هنا بالبصر[154]، وكان هذا الأمر كله في جانِبِ الطُّورِ وهو جبل معروف بالشام، والطُّورِ كل جبل، وخصصه قوم بأنه الذي لا ينبت فلما رأى موسى النار سر فقال لأهله أقيموا فقد رأيت نارا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ عن الطريق أين هو أَوْ جَذْوَةٍ وهي القطعة من النار في قطعة عود كبيرة لا لهب لها إنما هي جمرة[155]، فلما أتى موسى عليه السلام ذلك الضوء الذي رآه وهو في تلك الليلة ابن أربعين سنة نبىء عليه السلام، و «الشاطئ» والشط ضفة الوادي، وقوله الْأَيْمَنِ يحتمل أن يكون من اليمن صفة للوادي أو للشاطىء، ويحتمل أن يكون المعادل لليسار ، و «بركة البقعة» هي ما خصت به من آيات الله تعالى وأنواره وتكليمه لموسى عليه السلام، فسمع وأدرك غير مكيف ولا محدد، وقوله تعالى ﴿أَنْ يا مُوسى﴾ يحتمل أن تكون أَنْ مفسرة ويحتمل أن تكون في موضع نصب بإسقاط حرف الجر، فألقاها فانقلبت حية عظيمة ولها

اضطراب «الجانّ» وهو صغير الحيات فجمعت[156]، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أى الأجلين قضى موسى؟ فقال: أبعدهما وأبطأهما، وروى أنه قال: قضى أوفاهما[157]، ثم أنه في سورة النمل قال: ﴿"إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً"﴾ وقال في سورة القصص: ﴿" قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا "﴾ بزيادة "امْكُثُوا". وهذه الزيادة لمقام التفصيل الذي بنيت عليه القصة بخلاف القصة في النمل المبنية على الإيجاز[158].

وقال في النمل: ﴿"وَأدخِلْ يَدَكَ في جَيْبِك"﴾ وقال في القصص: ﴿"اسْلُك يَدَكَ في جَيْبِك"﴾، لقد استعمل في سورة القصص أمر الفعل (سلك) الذي يستعمل كثيرا في سلوك السبل فيقال: سلك الطريق والمكان سلكا، قال تعالى: ﴿"والله جَعَلَ لَكُم الأَرْضَ بِساطا لتَسْلُكوا مِنها سُبُلا فِجاجا﴾ [سورة نوح19: 20] ، ذلك لأنه تردد سلوك الأمكنة والسبل في قصة موسى في القصص، بخلاف ما ورد في النمل. فقد ورد فيها، أي: في سورة القصص سلوك الصندوق بموسى وهو ملقى في اليم إلى قصر فرعون، وسلوك أخته وهي تقص أثره. وسلوك موسى الطريق إلى مدين بعد فراره من مصر، وسلوكه السبيل إلى العبد الصالح في ، وسير موسى بأهله وسلوكه الطريقَ إلى مصر، حتى إنه لم يذكر في النمل سيرَه بأهله بعد قضاء الأجل بل إنه طوى كل ذكر للسير والسلوك في القصة فقال مبتدئا: ﴿"إِذْ قالَ موسَى لأهْلِهِ إنّي آنَسْتُ نارا سآتيكُمْ مِنها بِخَبر"﴾ بخلاف ما ورد في القصص، فإنه قال: ﴿"فلمّا قّضى موسى الأجَلَ وسارَ بأهلِهِ آنَسَ منْ جانِبِ الطورِ نارا"﴾ فحسن ذكر السلوك في القصص دون النمل[159].

ومن ناحية أخرى إن الإدخال أخص من فعل سلك أو السلوك اللذين هما مصدر الفعل سلك، لأن السَّلك أو السلوك قد يكون إدخالا وغير إدخال، قال تعالى في النحل: ﴿"فاسْلُكي سُبُلَ رَبّكِ ذُلُلاً "﴾[160]، فانظر كيف قال (ذللا) ليدلل على سهولته ويسره، فناسب وضع السلوك في موطن السهولة واليسر، ووضع الإدخال في موطن المشقة والتكليف الصعب. لقد ناسب الإدخال أن يوضع مع قوله: ﴿"سآتيكُمْ مِنها بِخَبَرٍ"﴾ وقوله: ﴿"فَلَمّا جاءَها"﴾ ومهمة التبليغ إلى فرعون وقومه ، وناسب أن يوضع السلوك في مقام الخوف، وأن يوضع لإدخال في مقام الأمن والثقة[161].

﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾[162] قيل المراد من ضم الجناح السكون أي سكن روعك واخفض عليك جناحك لأن من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه. وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم إليك يدك وأخرجها من كمك لأنه تناول العصا ويده في كمه فَذانِكَ

يعني العصا واليد البيضاء بُرْهانانِ يعني آيتان مِنْ رَبِّك ، وجاءت هذه الآية في القصص: ﴿"واضْمُم إلَيْكَ جَناحَكَ مِن الرّهْب"﴾ ولم يذكر مثل ذلك في النمل. و(الرهب) هو الخوف ، وهو مناسب لجو الخوف الذي تردد في القصة، ومناسب لجو التفصيل فيها بخلاف ما في النمل[163]، وقوله: ﴿ربي أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ﴾ وبعده: ﴿مَن جَآءَ﴾ بغير باءٍ. الأَوّل هو الأصل؛ لأَن (أَعلم) هذا فيه معنى الفعل، ومعنى الفعل لا يعمل فى المفعول به، فزيد بعده باء؛ تقويةً للعمل. وخُصَّ الأَوّل بالأَصل، ثم حذف من الآخر الباءُ؛ اكتفاءً بدلالة الأَول عليه.[164]

﴿فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾[165]، والإشارة بهذا إلى الضربة الشديدة التي تسبب عليها الموت أو إلى الموت المشاهد من ضربته، أو إلى الغضب الذي تسبب عليه موت القبطي. والمعنى: أن الشيطان أو قد غضبه حتى بالغ في شدة الوكز. وإنما قال موسى ذلك لأن قتل النفس مستقبح في الشرائع البشرية فإن حفظ النفس المعصومة من أصول الأديان كلها. وكان موسى يعلم دين آبائه لعله بما تلقاه من أمه المرأة الصالحة في مدة رضاعه وفي مدة زيارته إياها.

وجملة إنه عدو مضل مبين تعليل لكون شدة غضبه من عمل الشيطان إذ لولا الخاطر الشيطاني لاقتصر على زجر القبطي أو كفه عن الذي من شيعته، فلما كان الشيطان عدوا للإنسان وكانت له مسالك إلى النفوس استدل موسى بفعله المؤدي إلى قتل نفس أنه فعل ناشىء عن وسوسة الشيطان ولو لاها لكان عمله جاريا على الأحوال المأذونة[166] ، ولا التفات في هذا إلى جواز صدور الذنب من النبيء لأنه لم يكن يومئذ نبيئا[167].

وقوله: ﴿ لعلي أَطَّلِعُ إلى إله موسى ﴾ وفى غافر ﴿ لعلي أَبْلُغُ الأسباب أَسْبَابَ السماوات فَأَطَّلِعَ إلى إلاه موسى﴾ ، لأَن قوله ﴿ أَطَّلِعُ إلى إلاه موسى ﴾ في هذه السّورة خبر لعلَّ، وفى غافر عطف على خبر ﴿ أَبْلُغُ الأسباب ﴾ وجعل قوله ﴿أَبْلُغُ الأسباب﴾ خبرا للعلَّ، ثم أَبدل منه ﴿أَسْبَابَ السماوات﴾ وانما زاد ليقع فى مقابلة قوله ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ﴾ ، لأَنه زعم أَنَّه إله الأَرض، فقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إلاه غَيْرِي﴾ أَى في الأَرض[168]، وقوله: ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الكاذبين﴾ وفى غافر ﴿كَاذِبًا﴾ لأَن التقدير فى هذه السورة: وإنى لأَظنه كاذبا من الكاذبين، فزيد ﴿مِنَ الكاذبين﴾ لرءُوس الآي، ثم أَضمر (كاذباً) ؛ لدلالة (الكاذبين) عليه. وفى المؤْمن جاءَ على الأَصل، ولم يكن فيه موجب تغيير[169]، وقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ بالواو، وفى الشورى ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن﴾ بالفاءِ؛ لأَنه لم يتعلق فى هذه السّورة بما قبله أَشدّ تعلّقا، فاقتُصر على الواو؛ لعطف جملة على

جملة، وتعلَّق فى الشُّورى بما قبلها أَشدّ تعلق؛ لأَنَّه عقَّب ما لهم من المخافة بما أُوتوه من الأَمَنة، والفاء حرف تّعقيب.[170]

قوله: ﴿ وَزِيْنَتُهَا ﴾ ، وفى الشُّورى ﴿ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فحسب؛ لأَنَّ فى هذه السُّورة ذكر جميع ما بسط من الرزق، وأَعراض الدّنيا[171]، وقوله: ﴿ لعلي أَطَّلِعُ إلى إله موسى ﴾ وفى المؤْمن ﴿ لعلي أَبْلُغُ الأسباب أَسْبَابَ السماوات فَأَطَّلِعَ إلى إلاه موسى ﴾ ، لأَن قوله ﴿ أَطَّلِعُ إلى إلاه موسى ﴾ فى هذه السّورة خبر لعلَّ، وفى المؤْمن عطف على خبر ﴿أَبْلُغُ الأسباب﴾ وجعل قوله ﴿أَبْلُغُ الأسباب﴾ خبر لعلَّ، ثم أَبدل منه ﴿ أَسْبَابَ السماوات ﴾ وانما زاد ليقع فى مقابلة قوله ﴿ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ﴾، لأَنه زعم أَنَّه إله الأَرض، فقال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إلاه غَيْرِي ﴾ أَى في الأَرض؛ أَلا ترى أَنَّه قال: ﴿ فَأَطَّلِعَ إلى إلاه موسى ﴾ فجاءَ في كلِّ سورة على ما اقتضاه ما قبله.[172]

وقوله: ﴿ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الكاذبين ﴾ وفى المؤْمن ﴿كَاذِبًا﴾ لأَن التقدير فى هذه السورة: وإني لأَظنه كاذبا من الكاذبين، فزيد ﴿مِنَ الكاذبين﴾ لرءُوس الآي، ثم أَضمر (كاذباً) ؛ لدلالة (الكاذبين) عليه. وفى المؤْمن جاءَ على الأَصل، ولم يكن فيه موجب تغيير، قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ بالواو، وفى الشورى ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن﴾ بالفاءِ؛ لأَنه لم يتعلق فى هذه السّورة بما قبله أَشدّ تعلَّق، فاقتُصر على الواو؛ لعطف جملة على جملة، وتعلَّق فى الشُّورى بما قبلها أَشدّ تعلق؛ لأَنَّه عقَّب ما لهم من المخافة بما أُوتوه من الأَمَنة، والفاء حرف التّعقيب[173]، قوله: ﴿وَزِيْنَتُهَا﴾ ، وفى الشُّورى ﴿فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فحسب؛ لأَنَّ فى هذه السُّورة ذكر جميع ما بسط من الرزق، وأَعراض الدّنيا[174].

المبحث الرابع ـ وجه التقابل بين دلالات المتشابه القصصي في القرآن وبين الخطاب التشريعي:

وسنحاول هنا تأصيل القواعد في بيان نوع الخطاب وآلية تناول القصة في كل من السورتين"، بداية يمكننا القول إنه من خلال ما تقدم من قراءة نص السورتين، نلحظ أن هناك جملة من أنواع الخطاب تختلف كل منها عن الآخر بحسب موضوع كل سورة، وتبعا لذلك يختلف نوع السرد في القصة، ومن ثم ينتفي قول القائل بوجود المكرر في القرآن، هذا من وجه ومن وجه، فإنه ظهر لنا قواعد تفسيرية لفك المتشابه في السورتين ومن هذه القواعد ::

1- أن سورة النمل كانت خطابا للكافرين و سورة القصص للمؤمنين وعليه سنلحظ التغير في أسلوب الخطاب في كل من السورتين مع أن القصة واحدة في الكل.

2- أن الذي ورد من سورة القصص، هو كل ما ورد عن قصة موسى ، وأما ماذكر من سورة النمل فهو جزء يسير من القصة، فلقد وردت القصة مفصلة في سورة القصص ابتداء من قبل أن يأتي موسى إلى الدنيا إلى ولادته، وإلقائه في اليم والتقاطه من آل فرعون، وإرضاعه ونشأته وقتله المصري وهربه من مصر إلى مدين، وزواجه وعودته بعد عشر سنين وإبلاغه بالرسالة من الله رب العالمين، وتأييده بالآيات، ودعوته فرعون إلى عبادة الله إلى غرق فرعون في اليم، وذلك من الآية الثانية إلى الآية الثالثة والأربعين[175] ، فالقصة في سورة القصص مفصلة مطولة، وفي سورة النمل موجزة مجملة. وتبعا لذلك ستختلف الألفاظ والتعبير في كل من السورتين تبعا للإيجاز أو الإسهاب[176].

3- ثم أنك قد علمت أن القرآن يتخذ من الجمال الفني أداة لتحقيق التوجيهات والعظات، والإعلان بها في ثنايا القصة وختامها وما الإعجاز في مجموع مظاهره وأنواعه إلا سبيل لتحقيق ذلك [177]

4- أن المقام في سورة النمل، مقامُ تكريم لموسى أوضح مما هو في القصص، ذلك أنه في سورة القصص، كان جو القصة مطبوعا بطابع الخوف الذي يسيطر على موسى عليه السلام، بل إن جو الخوف كان مقترنا بولادة موسى عليه السلام، فقد خافت أمه فرعونَ عليه، فقد قال تعالى:﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي**﴾[178]،ويستبد بها الخوف أكثر حتى يصفها رب العزة بقوله: ﴿"وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا"﴾[179] ،

ثم ينتقل الخوف إلى موسى عليه السلام، ويساوره وذلك بعد قتله المصري: ﴿"فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ 18". فنصحه أحدُ الناصحين بالهرب من مصر لأنه مهدد بالقتل: "فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ 21" ، وطلب من ربه أن ينجيه من بطش الظالمين: ﴿"قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾21 " . فهرب إلى مدين وهناك اتصل برجل صالح فيها، وقص عليه القصص فطمأنه قائلا: ﴿لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾"[180]، وهذا الطابع أي طابع الخوف يبقى ملازما للقصة إلى أواخرها، بل حتى إنه لما كلفه ربه بالذهاب إلى فرعون راجعه وقال له: إنه خائف على نفسه من القتل: ﴿"قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾33"، وطلب أخاه ظهيرا له يعينه ويصدقه لأنه يخاف أن يكذبوه: ﴿"وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾[181]"، فبنى الكلام في النمل على القطع

"سَآتيكُم" وفي القصص على الترجي "لعَلّي آتيكُمْ". وذلك أن مقام الخوف في القصص لم يدعه يقطع بالأمر فإن الخائف لا يستطيع القطع بما سيفعل بخلاف الآمن ، ولما لم يذكر الخوف في سورة النمل بناه على الوثوق والقطع بالأمر[182]، ومن ناحية أخرى إن ما ذكره في النمل هو المناسب لمقام التكريم لموسى بخلاف ما في القصص[183]، ومن ناحية ثالثة: إن كل تعبير مناسبٌ لجو السورة الذي وردت فيه القصة، ذلك أن الترجي من سمات سورة القصص، والقطع من سمات سورة النمل. فقد جاء في سورة القصص قوله تعالى: ﴿عَسى أن ينْفَعَنا أوْ نَتّخِذَهُ وَلَدا﴾ وهو ترَجٍّ. وقال: ﴿عَسَى رَبّي أَن يَهْدِيَني سَوَاءَ السّبيلِ﴾ وهو ترجٍّ أيضا. وقال: ﴿ لَعَلّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ" وقال "لَعَلّكُم تَصْطَلَونَ"﴾، وقال: ﴿ لَعَلّي أَطّلِعُ إلى إلَهِ موسَى﴾، وقال: ﴿ لَعَلّهُمْ يَتَذكّرونَ ﴾" ثلاث مرات في الآيات 43، 46، 51، وقال: ﴿ فَعَسَى أَنْ يَكونَ مِنَ المُفْلِحينَ﴾ ، وقال: ﴿ ولَعَلّكُم تَشكُرونَ﴾" وهذا كله ترجّ. وذلك في عشرة مواطن في حين لم يرد الترجي في سورة النمل، إلا في موطنين وهما قوله: "لَعَلّكُمْ تَصْطَلَونَ"، وقوله: ﴿"لَعَلّكُمْ تُرْحَمونَ"﴾[184]، وقد تردد القطع واليقين في سورة النمل، من ذلك قوله تعالى على لسان الهدهد: ﴿"أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ"﴾[185] ، وقوله على لسان العفريت لسيدنا سليمان: ﴿**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**﴾[186]، وقوله على لسان الذي عنده علم من الكتاب : ﴿**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ** ﴾"[187]، وكرّر فعل الإتيان في النمل، فقال: ﴿"سَآتيكُمْ مِنها بِخَبَر أوْ آتيكُمْ بِشِهابٍ"﴾، ولم يكرره في القصص، بل قال: ﴿"لَعَلّي آتيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أوْ جَذْوَةٍ"﴾[188].

وفي إطار هذا كله فإن القصة لا ترد في القرآن بتمامها دفعة واحدة ، بل يقتصر على الجزء الذي يناسب الغرض الذي تساق القصة لأجله[189] ، فالقصة في القرآن ليست عملا فنيا مقصودا لذاته، وإنما هي مسوقة لغرض ديني مهما تنوعت أقسامه وتفرعت أشكاله.

نتائج الدراسة:

إن تشابه أساليب سرد القصة الواحدة في أكثر من موضع من القرآن هي سمة الإعجاز، ودليل صدق النبوة، وهذا الأسلوب المعجز في البيان هو الغالب على معظم قصصه القرآني، إذ لم يأت فيه غير متشابه إلا القليل مثل قصة يوسف عليه السلام، ثم إن القصص القرآني في جملته مسوق لأمور نجملها:

1- تسلية الرسول عليه السلام وتثبيت فؤاده ، و تهديد وزجر المخالفين. وبيان لمصير أمثالهم ، وهداية الناس إلى الإيمان بالله وعبادته[190] ، ويحصل هذا بإعادةِ القَصصِ وضَربِ الأمثالِ لأنهم إذا سمِعوا ما أخبرَ اللهُ سبحانه من إهلاكه العاصينَ وتنجيَته المؤمنين كانوا أقربَ إلى طاعته وأشد ابتعادا عن معصيته[191]، قال اللهُ سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[192]، ودواعي هذين الغرضين متكررة مرات ومرات. فالرسول - عليه السلام - لم يكف عن الدعوة إلى الإسلام ، والكفار لم يكفوا عن الإعراض والمخالفة. فإذا اعتبرنا أن مجموع هذين الأمرين هما الحال المقتضية لإيراد القصة في القرآن ، فإن تكرارهما يستدعى تكرار مقتضى الحال ، ومع هذا المقتضى فإن تكرار القصة في القرآن لم يكن على نمط واحد ، فهناك اختلاف في الصياغة، وهناك اختلاف في الطول والقصر التي تتناولها، وطريقة عرض تلك الأحداث[193].

2- يقول صاحب " البرهان " موجهاً لتكرار القصة في القرآن: " إن عادة العرب في خطاباتها إذا اهتمت بشيء - أرادت تحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء إليه. كررته توكيداً، " ؛ بل وربما عدوه من البديع عندهم ، كقول الشاعر :

هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أينا[194]،

وكقول الآخر :

فكادَتْ فَزَارَةُ تَصْلَى بِنَا فأَوْلَى فَزَارَةُ أوْلَى فَزَارَا [195]،

ونظيره من القرآن كثير كقوله تعالى فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا ، و في قوله قل يا أيها الكافرون وهذا فيه معنى آخر على المتشابه ، أنه يفيد الإخبار عن الغيب[196]، ويرى الزمخشري رأياً يقرب من رأى صاحب " البرهان "، قال: " إن في التكرار تقريراً للمعاني في الأنفس ، وتثبيتاً لها في الصدور ، ألا ترى أنه لا طريق إلى حفظ العلوم إلا ترديد ما يرام حفظه منها، فكان ذلك المتشابه أمكن له في القلوب، وأرسخ له في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان "[197]، ذلك أنّ الله سبحانه لما خاطب العرب بلسانها على وجهِ ما تستعمله في خطابها، وكانت تستجيزُ الإطالةَ والتكرارَ تارةً إذا ظنوا أن ذلك أبلغُ في مُرادِها وأنجع، وتقتصرُ على الاختصارِ أخرى في مواطنِ الاختصار كما مر بنا ، فخاطبَهم اللهُ سبحانه على ما جرت عليه عادتُهم.[198]

1- ثم إن جسم القصّة كلّه لا يكرّر إلا نادرا، كما يلاحظ- أيضا- أن هذا التّكرار متناسق كل التناسق مع السياق الذي وردت فيه، مما يجعل القارئ المتأمّل لكتاب الله تعالى يشعر وكأنّه أمام قصّة أو خبر لم يكن ليسمع به من قبل[199] ، فيبعد الملل في نفس القارئ أو السامع، ويزيد القصّة القرآنية جمالا فنيا وروعة أسلوب[200].

2- ثم أن اللهَ سبحانه أنزلَ المتكررَ في أوقاتٍ متغايرة، وأسبابٍ مختلفةٍ فَحَسُنَ منه تكرارُ القصةِ للزجرِ والموعظة، فحسنُ التأثر إذا تغايرت واختلفت أسبابُه وخطبُه للناسِ ببعضِ ما كان ذكَرهُ في غير ذلك الموقف، وإنما يُستثقلُ التكرارُ إذا كانَ في موقفٍ واحد، وسببٍ واحد، واللهُ سبحانه إنما كرر بعضَ القصَصِ والوعدِ والوعيدِ في أوقاتٍ متغايرةٍ ولأسبابٍ مختلفةٍ فحسُنَ ذلك منه تعالى وساغَ على عادةِ أهلِ اللسان.[201]

3- تبعا للغرض الذي سيقت من أجله القصة القرآنية، نجد القرآن تارة يذكر القصة بكامل تفصيلاتها، وتارة يكتفي بذكر ملخص عنها أو إشارة إليها، وتارة يتوسط بين هذا وذاك، وربما اكتفى أحيانا بعرض حلقة من حلقاتها، أو مشهد من مشاهدها202،

* فمن أمثلة ما ذكر مفصلا: قصة موسى ويوسف عليهما السلام، وكذلك قصة مريم وولادتها عيسى عليهما السلام، فإن هذه القصص قد ذكرت تفصيلا دقيقا بكل جوانبها، وقد كان هذا التفصيل مقصودا، والغرض منه- على الإجمال- إثبات رسالة محمد صلّى الله عليه وسلّم، إلى جانب أغراض دينية أخرى ذات أهمية وشأن، كتصحيح ما ادعاه أهل الكتاب من بنوة عيسى ابن مريم لله عز وجل، ولهذا المظهر في منهج القصة القرآنية غرض بيّن؛ إذ من شأنه أن يجمع على القارئ شتات ذهنه، ويصرف انتباهه إلى المقصد الأساسي من القصة، فيستطلع الغرض الديني الذي تستهدفه، ولا يغفل عن العبرة والعظة التي سيقت من أجلهما القصة، وبالتالي تنصاع نفسه لما انطوت عليه من هداية وتوجيه، وأنزلَ الله سيرةَ نبيٍ بعد نبيٍ وقصةً بعد قصةٍ، والقصةُ واحدة بألفاظٍ مختلفةٍ لِتقرَأ كل قصةٍ على أهلِ ناحية، ولُتقرأ القصةُ الواحدةُ بالألفاظِ المختلفةِ على أهل الأطراف والنواحي المختلفة[203]

4- مع أن القصة القرآنية لا تدع القارئ يتفاعل معها وينصرف إليها بكل تفكيره، دون أن تفصل بين حلقاتها بفواصل من العظات والعبر[204].

تارة في ثنايا القصة وخلالها، وخذ مثلا على ذلك ما ذكر في [سورة طه] أثناء عرض قصة موسى عليه السلام مع فرعون، حيث يقول الله تعالى: ﴿قالَ فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى (49) قالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى (50) قالَ فَما بالُ الْقُرُونِ الْأُولى (51) قالَ عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي فِي كِتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسى (52) الَّذِي جَعَلَ

لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْ نَباتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعامَكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى﴾[205]، فالقصة حوار بين موسى وفرعون ، ولكنها تتحول إلى التذكير بما يتناسب مع السياق من العظات والتوجيهات، فتذكر بعظمة الله تعالى ، وتبعث في النفس الشعور بوجوب شكره على عظيم آلائه ووافر فضله، ولا تغفل أن تذكر بالموت ثم البعث والنشور والوقوف بين يدي هذا الخالق.

- وتارة تكون في مقدمة القصة أو قبلها، ومثال ذلك ما ذكر في سورة الحجر من قوله تعالى: ﴿**نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيم وَأَنَّ عَذابِي هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ**﴾[206] ، ثم سرد القصص التي تدل على الرحمة: كقصة إبراهيم عليه السلام وتبشيره بالغلام بعد كبر سنه، وكذلك القصص التي تدل على العذاب: كقصة لوط عليه السلام مع قومه وما حاق بهم من العذاب.

7- فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتُصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي[207]، وتبعا لذلك تختلف الغاية التي تساق من أجلها القصة فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال[208]، وفي القصص القرآني تربة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزاد تهذيبي، من سيرة النبيين[209].

ثم إن الله تعالى أرادَ حسمَ أطماعِ العربِ في التعلُّقِ بذلك فكرر القصة الواحدة، والقصَصَ المتماثلة والمعنى الواحدَ بألفاظٍ مختلفةٍ من بحرٍ واحدٍ وعلى وزنٍ واحدٍ هو وزنُ القرآنِ الخارجِ عن جميعِ النظمِ والأوزانِ لِيُعْلِمَهُم اقتدارَه وعظمَ البلاغةِ في كلامِه ويعرفَهم عجزَهُم عن ذلك ويقطعَ به شغبَهم وشُبههم.[210]

بيان تضارب المصالح

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــــش :

1 - سورة الأحقاف الآية (12)

2- لقد لاحظ الباحث، و من خلال دراسته، أن العلماء لا يقولون بالمكرر في القرآن، و ينفون وجوده قطعا، غير أنهم يقولون بالمتشابه وأنه أسلوب من أساليب الإعجاز القرآني، في حين أن بعضهم يستخدمون لفظ المكرر في كتاباتهم قديما وحديثا، فلا يستشكل عليك في اعتراض ما قلناه سابقا، والجواب على ذلك أنهم يستخدمون لفظ المكرر و يقصدون به المتشابه، وبالتالي لا مشاحة في الاصطلاح، غير أننا لا نحبذ استعمال هذا اللفظ .

3- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، تحق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت ط /4/ 1407هـ - 1987 م ، ج6 - 1051

4- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس ،المكتبة العلمية – بيروت ، ج 2 - 505

5 - سورة الكهف الآية (64)

6- مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، مكتبة المعارف للنشر ، ط 3 1421 هـ – 2000 م 1 / 316 - 317

7 - سورة آل عمران الآية (62)

8 - سورة يوسف الآية (111)

9- نفحات من علوم القرآن ، محمد أحمد معبد ، دار السلام القاهرة ، ط 2 ، 1426 هـ – 2005 م ، 1 / 106

10- نفحات من علوم القرآن ، 1 / 106

11- مباحث في علوم القرآن ، 1 / 317

12- المرجع نفسه ، 1 / 317

13 - سورة هود الآية (49)

14- علوم القرآن، نورالدين الحلبي، مطبعة الصباح – دمشق ، ط 1، 1414 هـ – 1993 م، 1 / 240 - 241

15 - سورة ، الآيات (53_44)

16من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل ، محّمد سَعيد رَمضان البوطي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ب ط 1420 هـ - 1999 م ، 1 / 192 - 193 - 194

17 - سورة الأنبياء، الآية (92)

18- من روائع القرآن ، (1/ 194)

19 - سورة الأعراف، الآية (65)

20 - سورة الأحقاف، الآية (35)

21- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر – تونس ، 1984 هـ ، ب ط ، 19 / 215

22- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي– القاهرة، ب - ط، 10/ 205

23- مصاعد النظر للإشراف علي مقاصد السور ، إبراهيم البقاعي ، مكتبة المعارف – الرياض ، ط 1، 1408 هـ - 1987 م ، 2 / 333

24- التحرير والتنوير ، 19 / 215 - 216

25 - سورة النَّمْل، الآيات : 91، 92

26- المرجع السابق ، 19 / 215 - 216

27 - سورة النمل، الآية 6

28- التفسير القرآني للقرآن ، 10 / 205

29 - سورة القصص ، الآية 25

30- التحرير والتنوير ، 20 / 61

31- التفسير القرآني للقرآن ، 10 / 306

32 - الصحيح المسند من أسباب النزول ، مُقْبلُ بنُ هَادِي الوادعِيُّ ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ط / 4 ، 1408هـ- 1987م ، ص 158

33 - سورة القصص الآية 51

34 - سورة القصص الآية 56

35- الحديث أخرجه الطبراني ج5 ص46 و47

36 - إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبريّ، أبو إسحاق ، (640 - 732 هـ = 1242 - 1332 م): عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية. انظر الأعلام للزركلي ، 55/1

37 - سورة القصص، الآية 85

38- مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ ، 2 / 336

39- أخرجه مسلم من صحيحه ، من حديث أبي هريرة ، كتاب الإيمان ، باب أول الإيمان لا إله إلا الله ، ر 25 ، 1 / 55

40 -مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ ، 1 / 338

41 -التحرير والتنوير ، 20 / 62

42- الموسوعة القرآنية في خصائص السور، جعفر شرف الدين، تحق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت ، ط 1 1420 هـ ، ج 6 ، ص 212

43- التحرير والتنوير ، 20 / 62

44 - سورة الشعراء الآيات : 18- 19

45 - التفسير القرآني للقرآن ، 10 / 306

46 - الموسوعة القرآنية خصائص السور، 6 / 210

47- المعجزة الكبرى القرآن ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، 1 \ 119

48 - تفسير الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، أبوجعفر الطبري ، تحق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط1 1420هـ – 2000 م ، ج 19 \ ص 422

49 - التحرير والتنوير 19 \ 224

50 - تفسير مقاتل بن سليمان طبعة دار الكتب العلمية - 2 / 470 \ 471

51 - تفسير الطبري 19 \ 426

52 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل 1 / 72

53 - التحرير والتنوير لابن عاشور 19 \ 225

54 - تفسير مقاتل بن سليمان. 2 / 470 \ 471

55 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - 1 / 74

56 - سورة النمل، الآية: 7

57 - سورة القصص، الآية: 29

58 - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - 2 / 487

59 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - 1 / 75

60- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - 1 / 94

61 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - 1 / 75

62 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل 1 / 85

63 - سورة النمل الآية: 9

64 - سورة القصص الآية: 30

65 - سورة الشعراء الآية : 44

66 - المرجع السابق 1 / 85

67 - تفسير مقاتل بن سليمان 2 / 470 \ 471

68 - سورة النمل، الآية 8

69 - تفسير الطبري 19 \ 422

70 - التحرير والتنوير 19 \ 226

71 - المصدر السابق 19 \ 227

72 - سورة النمل، الآية: 8

73 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل 1 / 85

74 - المصدر السابق 19 \ 227

75 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل 1 / 84

76 - المصدر السابق 1 / 85

77 - البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، 1 / 191

78 - المصدر السابق ، 1 / 192
79 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، 1 / 88
80 - المصدر السابق ، 1 / 88
81 - البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ،1 / 191
82 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، 1 / 85
83 - تفسير الطبري 19 \ 430
84 - سورة الأعراف، الآية : 107
85 - المصدر السابق 19 \ 228
86 - المصدر السابق 19 \ 430
87 - التحرير والتنوير ، 19 \ 228
88 - سورة النمل، الآية 11
89 - تفسير مقاتل بن سليمان - 2 / 470 \ 471
90 - تفسير الطبري 19 \ 433 من تفسير سورة البقر الآية 150
91 - التحرير التنوير ، 19 \ 229 من تفسير سورة النمل الآية 12
92 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - 1 / 89
93 - سورة النمل، الآية: 12
94 - المحرر الوجيز 487/4
95 - المصدر السابق 487/4
96 - تفسير الطبري 19 \ 436
97 - المصدر السابق 19 \ 436
98 - البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان - 1 / 192
99 - سورة النمل، الآية: 12
100 - تفسير الطبري 19 \ 436
101 - تفسير مقاتل بن سليمان - 2 / 470 \ 471
102 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - 1 / 91
103 - البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان - 1 / 192
104 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - 1 / 72
105 - المصدر السابق - 1 / 91
106 - سورة النمل الآية 13
107 - التحرير والتنوير ، 19 \ 232
108 - تفسير الطبري 19 \ 434

109 - تفسير مقاتل بن سليمان - 2 / 470 \ 471
110 - سورة النمل الآية 14
111 - تفسير الطبري 19 \ 434
112 - تفسير مقاتل بن سليمان - 2 / 470 \ 471
113 - تفسير الطبري 19 \ 435
114 - تفسير مقاتل بن سليمان - 2 / 470 \ 471
115 - تفسر الطبري 19 \ 435
116 - المصدر السابق 19 \ 435
117 - تفسير مقاتل بن سليمان - 2 / 470 \ 471
118 - سورة القصص الآيات (1_2_3)
119- التحرير والتنوير ، 20 \ 64
120 - سورة القصص: 3
121 - تفسير الطبري 18 / 150
122 - التحرير والتنوير 20 \ 66
123 - المصدر السابق 20 \ 66
124 - التحرير والتنوير 20 \ 66
125 - المصدر السابق 20 \ 68
126 - سورة القصص: 4
127 - تفسير الطبري 18 / 152
128 - سورة القصص، الآية : 6
129 - سورة القصص، الآية : 6
130 - التحرير والتنوير 18 / 154
131 - سورة القصص الآية 7
132 - التحرير والتنوير 20 \ 68
133 - سورة القصص: 7
134 - تفسير الطبري ، 18 / 157
135 - سورة القصص: 8
136 - سورة القصص: 8
137 - تفسير الطبري 18 / 162
138 - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ، تحق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ب ط ، 1416 هـ - 1996 م ، 1 / 354

139 - التحرير والتنوير 20 \ 87 تفسير سورة القصص الآية : 13

140 - سورة القصص الآية 14

141 - المحرر الوجيز 4 / 480

142 - سورة القصص:15

143 - تفسير الطبري 18 / 183

144 - التحرير والتنوير 20 / 89

145 - المصدر السابق 20 / 89

146 - المحرر الوجيز ، 4 / 280

147 - سورة القصص 17

148 - التحرير والتنوير 20 / 92

149 - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 1 / 354

150 - المصدر السابق ، 2 / 411 - 412

151 - المصدر السابق ، 1 / 355

152 - سورة القصص الآية 21

153 - البرهان في توجيه متشابه القرآن ، 1/ 194

154 - المحرر الوجيز 4 / 487

155 - المصدر السابق 4 / 487

156 - المحرر الوجيز 4 / 487

157 - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه من حديث محمد بن كعب رضي الله عنه ، من كتاب : الفضائل ، باب فضل نبي الله موسى عليه السلام ، ر: 31846 ، راجع : مصنف في الأحاديث والآثار ، أبو بكر بن أبي شيبة ، تحق: كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد – الرياض ، ط: 1 ، ت: 1409 م ، 6 / 335

158 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - 1 / 72

159 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - 1 / 90

160 - سورة النحل الآية 69

161 - المصدر السابق - 1 / 90

162 - سورة القصص ، الآية 32

163 - المصدر السابق - 1 / 91

164 - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، 1 / 355

165 - سورة القصص الآية 16

166 - التحرير والتنوير 20 \ 90

167 - المصدر السابق 20 \ 90

168 - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، 1 / 356

169 - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، 1 / 356

170 - المصدر السابق ، 1 / 356

171 - المصدر السابق ، 1 / 356

172 - المصدر السابق ، 1 / 356 / 357

173 - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، 1 / 357

174 - المصدر السابق ، 1 / 357

175- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - 1 / 71

176- المرجع السابق - 1 / 71

177 - علوم القرآن الكريم ، 1 / 248

178 - سورة القصص الآية 7

179 - سورة القصص الآية 10

180 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - 1 / 72

181 - سورة القصص الآية 35

182 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - 1 / 72

183 - المرجع السابق - 1 / 73

184 - المرجع السابق - 1 / 73

185 - سورة النمل الآية 22

186 - سورة النمل الآية : 39

187 - سورة النمل: 40

188 - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - 1 / 73

189علوم القرآن الكريم ، 1 / 247 - 248

190 - الواضح في علوم القرآن ، بتصرف - وكذلك راجع كتاب : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، رسالة دكتوراه ، 133 - 135

191- الانتصار للقرآن ، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي ، تحق د. محمد عصام القضاة ، دار الفتح – عَمَّان ، دار ابن حزم – بيروت ، ط 1 1422 هـ - 2001 م 2 / 801

192 - سورة الفرقان 32

193 - خصائص التعبير القرآني، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، 133- 135

194 - البيت ل عبيد بن الأبرص راجع خزانة الأدب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط: 4 ، 1418 هـ - 1997 م ، 2 / 214

195 - البيت لعوف بن عطية بن الخرع الربابي، راجع كتاب: المفضليات، المفضل بن محمد الضبي، تحق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف– القاهرة ط: 6، 1/ 416

196 - إعجاز القرآن ، للباقلاني ، دار المعارف - القاهرة ، تحق: أحمد صقر ، 1 \ 106

197 - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، 133 - 135

198 الانتصار للقرآن ، 2 / 800

199 - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، 133 -135

200 -المصدر السابق ، 133- 135

201 - الانتصار للقرآن ، 2 / 802

202 - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، 133 – 135

203 - الانتصار للقرآن ، 2 / 802

204 - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، 133 - 135

205 - سورة طه: 49 - 54.

206 - سورة الحجر: 49 - 50.

207 - المصدر السابق ، 133 - 135

208 - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، 133 - 135

209 - مباحث في علوم القرآن ، 322

210 - الانتصار للقرآن ، 2 / 803